

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - الدرس (١١٦ - ١٢٧) : الترغيب في الرفق والأناة والحلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-٠٥-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الترغيب في الرفق والأناة والحلم :

أيها الإخوة الكرام؛ لازلنا في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم واليوم الترغيب في الرفق والأناة والحلم، وتعلمون أن الحلم سيد الأخلاق وكاد الحليم أن يكون نبياً ذلك لأنك إذا كنت حليماً وكنتم هادئاً وكنتم رقيقاً استطعت أن تتخذ قراراً حكيماً، أما الإنسان حينما يغضب ، وحينما يثور ، وحينما يهيج ، يصبح في تفكيره بعيداً عن الصواب، لذلك ورد في بعض الأحاديث الشريفة وصية النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه قال لا تغضب، أنت حينما تغضب فقدت الصواب وفقدت الرؤية الصحيحة، لو ذهبنا نعد المصائب والنكبات التي ألمت بالشعوب والأمم بسبب غضب طارئ لوجدنا ويلات حروب طحنت المجتمعات البشرية، حروب انتهت بخمسين مليون قتيل وبمئة مليون جريح بسبب غضب طارئ بسبب حرق أتى من سوء رؤية.

إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله .

أيها الإخوة الكرام ؛ كلمة الحلم والغضب يحتاجها الفرد وتحتاجها الأمة لذلك يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

[متفق عليه]

ألا ترى هؤلاء الذين يذنبون المصحف ؟ الله عز وجل يمهلم ولا يمهلمهم، ألا ترى أولئك الذين يلحدون في أسماء الله ؟ ألا ترى أولئك الذين يتناولون على القرآن ، ومع ذلك الله عز وجل يمهلمهم ولا يمهلمهم، فالرفق في المعاملة يجب أن تعرف حقيقة أن الفرق الدقيق بين مؤمن وغير مؤمن ، ليست العبادات الشعائرية التي يؤديها المؤمن الفرق الدقيق بين المؤمن وغير المؤمن ،

فرق في كيان المؤمن ، بطريقة تفكيره ، بطريقة تلقيه للمؤثرات الخارجية ، بطريقة ردود فعله ، بطريقة معالجته للأمور ، فكلما ارتقى الإيمان صارت الحكمة دين المؤمن ، يقول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب ومع الشخص المناسب وفي الطرف المناسب ولا أبالغ أيها الإخوة الكرام، أن أؤمن شيء يمنحك الله إياه أن تكون حليماً .

الحكمة .

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة: ٢٦٩]

والحكمة لا تؤتى وأنت غاضب، الحكمة لا تؤتى وأنت ثائر، الحكمة لا تؤتى وأنت هائج، أنا أذكر أن الإنسان حينما يغضب غضباً شديداً وحينما يبتعد عن الرفق يتخذ قراراً مضرراً له وكأنه يحفر قبره بيديه، وكأنه يهدم بيته بيديه وقد أشار القرآن لهذه الحالة قال تعالى:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الحشر: ٢]

ساعة غضب قد تطلق بها امرأتك ، تشريد الأولاد وظلم المرأة وتحمل النتائج والعواقب ، لكن لو سألتني سؤال علمي من أين يأتي اللحم ؟ من أين يأتي الرفق ؟ هنا محط الشاهد وهنا جوهر الدين . مكارم الأخلاق مخزونة عند الله، الله عز وجل أسماؤه حسنى وصفاته فضلى .

مفهوم القيم .

أي إنسان آمن بالله أولاً ، واستقام على أمره ثانياً ، وتقرب إليه بالعمل الصالح ثالثاً . صار الطريق إلى الله سالكاً، أي أقبل على الله .

ما من إنسان يتصل بالله عز وجل إلا ويشفق منه الكمال .

تتصل بالرحيم وتقسو ! مستحيل .

تتصل بالإله العادل وتظلم !

تتصل بالحليم وتغضب !

لكن لئلا يأتي سؤال مصاد قد تجد كافراً حليماً، هادئاً، متزناً، هذا الخلق الذي يتمتع به . من ابتعد عن الدين لا علاقة له بهذا الدرس .

هذا الخلق سببه الذكاء ، لكن لو أن هذا الذي ابتعد عن الدين ورأيته حليماً هادئاً إذا هددت مصالحه ينقلب إلى ثور هائج، ويدمر كل شيء، ولا يعبأ بشيء، وهذا الذي حصل بعد الحادي عشر من أيلول، كنت أقول لكم دائماً قبل خمسين عاماً قلة قليلة جداً من كبار المفكرين كشفت

حقيقة الغرب لكن الخط العريض في المجتمع توهم أن الغرب حضارة، وأن الغرب قيم، وأن الغرب أخلاق، فالإنسان الذكي يستطيع أن يسلك سلوك الأخلاقيين بذكائه، وقد تجد أحياناً إنسان اجتمعت مصلحته مع مكارم الأخلاق ، يطبق مكارم الأخلاق ، لا لأنه يعبد الله ولكن لأنه يعبد المال ، وهذا يجد التجار مع الشركات الأجنبية وعد دقيق صدق عجيب بضاعة متقنة وأي شيء تقوله لهم يصدقونك به يعطونك التعويض أنت تعجب بهم، هذه نقطة مهمة جداً أيها الإخوة الكرام، إذا رأيت خلقاً رفيعاً من إنسان بعيد عن الدين هذا الخلق سببه الذكاء وسببه الحرص على المصلحة الدنيوية ، لكن هذا الذي يعجبك بأخلاقه وسمته إذا هددت مصالحه ينقلب إلى ثور وإلى وحش ، فلذلك الدولة القوية التي نعمت بالاستقرار منتهي عام والتي نما اقتصادها ونمت صناعاتها وكثرت أموالها وطرحت قيماً رائعة جداً جذبت قلوب أهل الأرض طرحت قيمة الحرية وقيمة الديمقراطية وقيمة حقوق الإنسان وقيمة العولمة وقيمة تكافؤ الفرص وقيمة حق المفاضة وقيمة وقيمة... بلاد جميلة وأموال كثيرة وصناعات متقنة واحترام لا يصدق للإنسان وطرح قيم رائعة هذه أخلاق الأذكىاء فلما هددت مصالحهم الذي يفعلونه الآن في السجون لا يمكن أن يقبله إنسان مع حيوان لا مع إنسان، والذي ينشر من فضائح السجون ومن فضائح التعذيب يندى له الجبين، ومقام هذا الدرس لا يليق أن نذكر دقائق ألوان التعذيب .

في حرب العراق عرض على الشاشة جندي من جنودهم بكامل ثيابهم وبيده كأس شاي لأنه عرض على الشاشة لتوه صرح وزير الدفاع هناك أن هذا انتهاك اتفاقيات جنيف، أما أن يعرض رئيس دولة سابقاً بثيابه الداخلية هذا ليس انتهاكاً لحقوق الإنسان وليكن كائن من كان هذا إنسان كان يمثل دولة سابقاً لذلك تجد التناقضات في كل حذب وصوب، هذا العدو يتلقى منّي قرار لا ينفذ واحداً منها، قرار واحد يجب أن ينفذ فوراً متابعة يومية إلى أن نفذ هذا الكيل بمكيالين لا يحتمل، وابتدعوا أشياء ما أنزل الله بها من سلطان أن تضرب ضرباً مسبقاً قبل أن يفكر الطرف الآخر أن يقاتلك تضربه وتسحقه بلا سبب وبلا مبرر .

أيها الإخوة الكرام؛ أنا مضطر أن أوضح لكم أن الخلق الذي يبدو من إنسان بعيد عن الله هو خلق ناتج عن ذكائه، وما دامت مصالحه محققة فهذا الخلق يعجبك أما إذا هددت مصالحه ينقلب إلى وحش، حينما فتح الفرنجة القدس ذبحوا في يومين سبعين ألف فلما فتحها صلاح الدين لم ترق قطرة دم واحدة وكان أهل القدس من المحتلين آمنين على دمائهم وعلى أموالهم وعلى أعراضهم وعلى متاعهم .

يعني أقول لكم أيها الإخوة الكرام ؛ الفرق بين المؤمن وبين غير المؤمن شعائرية .
المؤمن يصلي ذاك لا يصلي، هناك فرق صارخ في كل شيء ، في تلقي المؤثرات ، في الاستجابة ، في طريقة المعالجة ، في الهدف النبيل الذي يحمله، المؤمن أكاد أقول لكم المؤمن حي وغير المؤمن ميت، المؤمن ملك وغير المؤمن وحش ، وهذه الوحشية نراها كل يوم، أنماط

التعذيب التي جرت في سجن أبو غريب العقل لا يصدقها العقل لا يصدقها أين حرته ؟ أين احترامهم لحقوق الإنسان ؟ أين تقديس حرية الإنسان ؟

أيها الإخوة الكرام؛ مجتمع المؤمنين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، بينما مجتمع غير المؤمنين يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف.

الآن أي إنسان له قريب من الجالية الإسلامية في الغرب إن في أوروبا أو في أمريكا، لو أن أباً مسلماً دخل إلى غرفة ابنته فجأةً فرأى معها على السرير شاباً إذا غضب وعنفها بإمكانها أن تقوده إلى مركز الشرطة ليوقع تعهداً أنه بهذا الغضب لم يكن حضارياً ، لأن هذا الصديق الحميم الذي ينام معها في الفراش جاء بناء على دعوة منها، يأمرهم بالمنكر .

في نيويورك مدرسة بنات، شابة في المرحلة الثانوية دخلت هذه المدرسة ترتدي ثياباً ترتديه الشابات السحاقيات ، يبدو أن مدير المدرسة فيه بقية نخوة بقية تدين بقية شهامة فطردها . بالمناسبة أيها الإخوة الكرام ؛ الزنا مخالفة حكم شرعي أليس كذلك ؟ الحكم هو الزواج لم يتزوج لكنه زنا .

لكن الشذوذ فضلاً عن أنه مخالفة حكم شرعي ، مخالفة فطرة إنسانية ، لذلك عقوبته القتل، فطردها ، فأقام والدها دعوى على مدير المدرسة ورجح الدعوى ودفعت المدرسة له تعويضاً عن طرد ابنته ثلاثين ألف دولار .

في فرنسا ثلاث فتيات صغيرات دخلن المدرسة وعلى رؤوسهن حجاب، قامت الدنيا ولم تقعد ، الأمر وصل إلى الإليزيه إلى الرئاسة وصدر قرار بمنع أي فتاة في فرنسا كلها من دخول مدرسة بالحجاب، ثياب السحاقيات مسموح بها، التعري مسموح به، أن تمشي الفتاة وكأنها بلا ثياب مسموح به، أما أن تحتشم المرأة ممنوع، هؤلاء يحترمون ؟

أن يقف وزير إيطالي يقول أنا شاذ جنسياً بمؤتمر صحفي، أن يقف وزير بريطاني وزير الصحة يقول أنا شاذ، أن تعقد ملكة – التي ماتت بحادث – ملكة بريطانيا أن تعقد مؤتمراً صحفياً وقد بث على عشر محطات فضائية والذين شاهدوا هذا المؤتمر الصحفي يزيدون عن مئة مليون تقول أنا زنيت عشر مرات، والله الإنسان يقول أنا في أي عصر أعيش ؟

هؤلاء يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف ، لا ترونهم كباراً لا تعظموهم لا يستحقون أن نلتفت إليهم، عندهم تفكك أسري لا يحتمل عندهم المخدرات شيوع الجريمة، عدد اللواتي يأتين من آسيا إلى أوروبا وأمريكا يقترب من سبعمئة ألف فتاة تجارة الجنس الأبيض تجارة الرقيق الأبيض هؤلاء يؤتى بهم إلى أوروبا ليعملن بالدعارة، فلذلك بمقياس الدين مقياس وحي السماء هؤلاء ساقطون لكنهم أفوياء جداً وأذكياء جداً وأغنياء جداً وهذه الدنيا الكلمة الدقيقة الفاصلة نحن نائمون في ضوء الشمس هم يقظون في الظلام الدامس، نحن مع وحي السماء نائمون.

أيها الإخوة الكرام؛ يوجد في الأرض ثلاثة آلاف لغة الإنجيل مترجم إلى ألف و ثلاثمئة لغة والقرآن مترجم إلى أربعين لغة وحي السماء الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه مترجم فقط إلى أربعين لغة بينما الإنجيل مترجم إلى ألف وثلاثمئة لغة، إذاً يعملون ونحن نائمون في ضوء الشمس .

أيها الإخوة الكرام ؛ صدقوا والكلمة من القلب إلى القلب ، وقت الكلام انتهى ، وقت السماع انتهى ، وقت إيمان الدروس انتهى ، وقت عمل اصنع شيئاً اصنع شيئاً لهذه الأمة، اعتن بعلمك هذا شيء، اعتني بأولادك هذا شيء، اعتني بصنعتك هذا شيء، احمل هم الأمة هذا شيء، رب أولادك هذا شيء، اصنع شيئاً واصمت، هذا الذي ينبغي أن نفعله الآن حجمك عند الله لا بحجم سماعك ولا بحجم إلقاءك حجمك عند الله بحجم عملك قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: ١٣٢]

إذاً النقطة الدقيقة في هذا الدرس أنك إذا رأيت إنساناً بعيداً عن الدين تعجبك أخلاقك قد يختل توازنك وأنا أكون معكم صريحاً لو رأيت إنساناً لا يصلي أخلاقي هادئ حكيم منصف صادق يختل توازنك لماذا الدين ؟ لا جدوى من الدين لكن هذا الذي بدا لك أخلاقياً وبدا لك هادئاً وبدا لك حكيماً حاول أن تستفذه قليلاً ينقلب إلى وحش كاسر عندئذ تستعيد توازنك .

صدقوا أيها الإخوة الكرام ؛ في تجربتي المتواضعة كلما التقيت بإنسان أعجبك بأخلاقه بصدقه بأمانته وحينما يعجبك تتساءل هذا إنسان أخلاقي ولا يصلي، أما حينما تكتشف أنه أحياناً يجرم بحق من حوله تستعيد توازنك، يجب أن تعلم علم اليقين أن الخلق العظيم الذي هو من خصائص المؤمنين لا يمكن أن يكون بضاعة الشاردين، لكن الله عز وجل جل جلاله متكفل أن كل من أوهم الناس أنه أخلاقي أن يضعه على المحك الآية قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٧٩]

الله عز وجل له امتحانات عجيبة تحدث عن نفسك ما تشاء، صنف نفسك مع من تشاء، أصبغ على نفسك كل كمال، لكن الله متكفل أن يعيدك إلى حجمك الحقيقي .

مرة تاجر كبير وله هيئة ترضي كثيراً وتزوج امرأة من بلاد الغرب هذه المرأة أحبته حباً جماً وأطاعته طاعة عمياء حتى لبست الحجاب الكامل حتى وجهها لم يكن مكشوفاً فإذا كانت في مجتمع إسلامي تسبق كل من حولها في صلاة الظهر في وقتها وفي صلاة العصر في وقتها شيء مدهش من يعلم الحقيقة ؟ لا أحد يعلم، حصل خلاف بينها وبينه فارتدت أفضح أنواع الثياب ونزعت الحجاب وتركت الصلاة وذهبت إلى المسابح، إذاً كل تدينها السابق مصلحة لأنها معجبة بزوجها ومصلحتها متوافرة عنده فعلت ما يرضيه فلما يئست منه تبين أن كل تدينها لا علاقة له لا بقناعتها و.....

معنى ذلك أن الله متكفل أن يضعك في حجمك الحقيقي هذا هو الابتلاء، أنا لا آخذ درهماً حراماً، درهم تأخذ طبعاً لكن إذا جاءك عرض خمس ملايين تفكر تقول عندي أولاد وهذه بلوى عامة

والناس كلهم فسدوا وضع رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس، سقط الإنسان، أنت تقول ما أخذ لأن العروض خفيفة فالله عز وجل متكفل ادع ما تشاء الله عز وجل يتكفل أن يكشف حقيقتك، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: الآية ١٧٩]

حقيقة الغرب .

والذي حصل بعد الحادي عشر من أيلول كشف حقيقة الغرب وصدقوا أيها الإخوة الكرام، أن عقب هذه الأحداث في إنجاز إسلامي العقل لا يصدقه لكن غير مرئي، الإنجاز الإسلامي أن الساحة التي فيها المبادئ والقيم ليس فيها الآن إلا الإسلام أما الغرب قوي جداً سقط كحضارة وكقيم وبقي كقوة غاشمة فقط، قبل خمسين عاماً قلة قليلة من متقفي الأمة يكشفون حقيقة الغرب أما الآن أطفالنا يكشفون حقيقة الغرب، الذي يجري بالعراق لا يصدق، الله عز وجل يتكفل أن يكشف الأفراد والكيانات الكبرى على حقيقتها، فلذلك انطلقاً من موضوع الرفق ومكارم الأخلاق هذا التعليق ضروري جداً كي تفرق بين أخلاق العابدين وبين أخلاق أصحاب المصالح ، ترى شخصاً قضية ليس لها حل بالقانون، القانون مثلاً مع المستأجر قبل أحدث قانون إيجار ما في أمل المستأجر مالك ، القانون معه والبيت حكماً في ملكه صار هذا الإنسان يلجأ إلى العلماء سيدي هذا بيتي وهذا مغتصبه وما الحكم الشرعي ؟ الإنسان نفسه هناك قضية في الشرع ليست في صالحه يلجأ إلى القانون هو يبحث عن مصلحته إن وجدها عند العلماء لجأ إليهم وإن رآها عند رجال الحكم والقانون والمحاكم لجأ إليهم هذه الازدواجية، ترى إنسانة داعية، داعية كبيرة في أمريكا تختلف مع زوجها ترفع أمرها لا إلى قاض مسلم القاضي المسلم يعطيها مهرها فقط ترفع أمرها إلى قاض غربي ليعطيها نصف أملاك زوجها، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[سورة المائدة: الآية ٤٧]

هذه الازدواجية فلذلك المسلمون من ازدواجيتهم ومن تقصيرهم ومن إيمانهم السماع والإلقاء من دون عمل فقدوا خيريتهم، الآية دقيقة جداً، قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ

خَلَقَ﴾

[سورة المائدة: الآية ١٨]

وإذا قال المسلمون قياساً على هذه الآية نحن أتباع سيد الأنبياء والمرسلين نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم نحن خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾

[سورة المائدة: الآية ١٨]

هذا الرفق رفق العبادة أصيل أما رفق الذكاء طارئ وهش وسريعاً ما يلغى وتحل محله القسوة والعنف .

الحديث الأول : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله .

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

[متفق عليه]

هذه رواية البخاري ومسلم يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ يعني مع زوجتك ومع أولادك ومع جيرانك تمهل قبل أن تتخذ قراراً قاسياً قبل أن ترفع عقيرتك بالسباب تمهل .

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

كن رقيقاً مع أولادك علموا أولادكم ولا تعنفوهم فإن المعلم خير من المعنف.

الحديث الثاني : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي

وفي رواية لمسلم:

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا

سِوَاهُ))

لا تكن عنيفاً صدق أيها الأخ الكريم يمضي على أهل البيت سنوات وسنوات ولا ينطق أحدهم بكلمة نابية ولا بسباب وتجد أناساً في بيوتهم أقسى الكلمات وأقسى العبارات وعنف ما بعده عنف يجب أن يكون بيت المسلم جنة أيها الإخوة الكرام، أنا أتمنى على كل أخ كريم أن يقيس مكانته في البيت هل إذا دخل إلى البيت كان عيد عند أهل البيت أم إذا خرج ؟ هو في عيد لكن العيد متى إذا دخلت أم إذا خرجت ؟ الأب السيئ العيد إذا خرجت يتنفسون الصعداء والأب الجيد العيد إذا دخل.

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

وفي رواية مسلم

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا

سِوَاهُ))

سبحان الله في حديث الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله. أنت إذا غششت الإنسان هدمت بنيان الله، ضحكت عليه وإذا كذبت عليه هدمت بنيان الله، وإذا ضيقت عليه هدمت بنيان الله، وإذا أخرجته هدمت بنيان الله، وإذا ابتزرت ماله بغير حق هدمت بنيان الله، وإذا ضيقت عليه حتى يعطيك شيئاً من دخله هدمت بنيان الله، وإذا آذيته هدمت بنيان الله، تصور هناك مصالح والله الذي لا إله إلا هو أتمنى من أعماق أعماق قلبي ألا يتورط مسلم

في بعض المصالح لأنها مبنية على إيذاء الناس أو على بث الرعب في قلوبهم أو على ابتزاز أموالهم أو على انتهاك حرمتهم لا تقبل بعمل لا يرضي الله عز وجل، مرة زرت إنساناً بمكتب لا يوصف الغرفة مغلقة من الداخل بأرقى أنواع الخشب من أجل عزل الصوت عزل حراري وعزل الصوت والأرض مفروشة بأرقى أنواع الأرضيات والمكتب فقال لي صاحب هذا المكتب وهو متألم أشد الألم قال لي أنا عملي قال لي باللغة الإنكليزية قال عملي اسمه ديرتي وورك العمل القذر، انظر إحساس الإنسان أنه قذر، أرقى شيء عند الإنسان أن يحترم ذاته وأكبر مشكلة أن تحتقر ذاتك وقد تكون في أعلى مكان ولا أحد يجروء أن ينطق بكلمة عنك ومع ذلك تحتقر ذاتك.

إذا إنسان تاجر مخدرات وسكن ببيت ثمانين مليون وفرشه بعشرين مليون وسيارته بأربعة وعشرين مليون قبل تنزيل الأسعار طبعاً ودخلت على بيته هل تعجب به ؟ ألا تحتقره من أين جاء بهذه الثروة ؟ من تدمير الأسر، من بيع المخدرات للشباب، من إنشاء مجتمعات هالكة فلذلك يقال هناك عاطفة عميقة وعاطفة سطحية الإنسان المتعلق بالمظاهر يحترم الأغنياء أما حينما تعلم أنه قد يكون هذا المال من طريق غير مشروع أو مبني على هدر حقوق الآخرين أم على ابتزاز أموالهم أو على بث الرعب فيهم ينبغي أن لا تحترم هذا الإنسان فأنت كمؤمن يمكن أن تحترم وأن تبجل إنساناً فقيراً ويمكن أن تزدرى إنساناً قوياً أو غنياً.

فلذلك العبرة في الإنسان بأخلاقه أما المشكلة الآن العصور متنوعة لكن في مفكر في الجزائر مشهور جداً له كتاب وهو على صواب يرى أن العصور لها ثلاث هويات هناك عصر مبادئ سيدنا عمر لما استقبل جيلة بن الأيهم وكان ملكاً إذا واحد انضم إليك وهو ملك هذا مكسب كبير فلما ضرب بدوياً بسبب أن هذا البدوي داس طرف رداءه وجاء البدوي إلى عمر يشكوه واستدعى جيلة وقال له ما الذي حصل ؟

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جيلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال سيدنا عمر: أرضي الفتى لابد من إرضائه، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشم الآن أنفك وتتل ما فعلته كففك .

فقال جيلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ هو سوقة وأنا عرش و تاج كيف ترضى أن يخرب النجم أرضاً ؟

قال عمر: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس لدينا أحراراً وعبيداً.

قال جيلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتدٌ إذا أكرهنتي.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

ماذا نسمي هذا العصر ؟ عصر مبادئ المبادئ فوق الشخص بالمناسبة أيها الإخوة الكرام، كلما
كبر المبادئ صغر الشخص سيد الخلق قال تعالى:

﴿إِن تَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

[سورة الأنعام: الآية ٥٠]

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

[سورة الكهف: الآية ١١٠]

كلما كبر المبدأ صغر الشخص وكلما كبر الشخص صغر المبادئ، قال فرعون:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾

[سورة النازعات: الآية ٢٤]

﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص: الآية ٣٨]

في عصر الأشخاص يعني عصر فرعون، الطاغية هو كل شيء، في عصر ثالث عصر الأشياء
يعني كل كيانك متعلق بسيارة بقصر ببيت بمنصب بأجهزة حديثة بأجهزة غالية جداً تستمد مكانتك
من مساحة بيتك أحياناً من موقع بيتك من نوع سيارتك من رقم سيارتك مئة وثمانين شيء و
الستمئة شيء آخر في فرق بينهم، مكانتك كلها كيانك كله من نوع بدلتك بيركاردان يقول لك
والحذاء ريد شوذ يعني كل ماركة عالية جداً نحن الآن بعصر الأشياء وقبل حين في عصر
الأشخاص وفي عهد النبوة عصر مبادئ وإن لم تحكم المبادئ لن نرقى .

يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله
شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالهم و تأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه.

هل تصدقون أن في قصة طويلة ذكرتها مرة لكن ملخصها أن أنصاري سرق درعاً وقد ألصق
هذه التهمة بيهودي وضع الدرع بكيس من الدقيق والكيس مثقوب وأخذ الدرع إلى اليهودي وقال
ضعه عندك أمانة فلما فقد صاحب الدرع درعه وشكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام رأوا أثراً أن
هذا الدرع عند اليهودي وجاء أهل الأنصاري إلى النبي عليه الصلاة والسلام هذا من صحابتك
هذا لا يسرق السارق هو اليهودي والنبي لم يحكم بعد وكل إنسان يتمنى أن يكون أخوه بريئاً
فجاء تعنيف الله عز وجل لسيد الخلق فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾

[سورة النساء: الآية ١٠٥]

هذا عصر مبادئ وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تحكم المبادئ في حياتنا المبادئ إذا حكمت انتهى
كل شيء .

((إِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ
أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

[متفق عليه]

الحديث الثالث : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه .

الحديث الثالث أيضاً عن الرفق: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[مسلم، أبو داود، أحمد]

كل شيء مع الرفق يزينه وكل شيء مع العنف يشينه لذلك لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي أن أحد أصحابه أرسل كتاباً إلى قريش يقول فيه إن محمداً سيغزوكم فخذوا حذرکم، خيانة عظمى في كل الأمم والشعوب وفي كل الأنظمة من آدم إلى يوم القيامة ترسل كتاباً للعدو تحذره من غزو بلدك له فالنبي الكريم استدعى حاطب بعد أن جاء بالكتاب من امرأة كانت في طريقها إلى مكة قال ما هذا يا حاطب؟ ماذا فعل عمر؟ قال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق وانتهى الأمر، قال له لا يا عمر إنه شهد بديراً تعال يا حاطب لما فعلت ما فعلت؟ قال والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت ولكنني لصيق في قريش لست من شجرتها وأنا موقن بنصر الله لك أردت بهذا الكتاب أن أحمي مالي وأولادي هناك فاعفر لي ذلك فقال عليه الصلاة والسلام إني صدقته فصدقوه ولا تقولوا فيه إلا خيراً.

أرأيت إلى الرفق كان ممكن أن يقتل أحياء، من هو أبو جهل؟ لعله أعدى أعداء النبي عليه الصلاة والسلام لعله حارب النبي عشرين عاماً لعله تفنن في التنكيل في أصحاب النبي جاء ابنه مسلماً عكرمة قال لأصحابه جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت. ما هذه الأخلاق؟ لا تسبوا أباه وهو أعدى أعداء النبي عليه الصلاة والسلام فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت.

الحديث الرابع : من يحرم الرفق يحرم الخير .

عَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ يُحْرِمَ الرَّفْقَ يُحْرِمَ الْخَيْرَ))

[مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد]

معنى ذلك أن هناك علاقة بين الرفق وبين الخير، أنت بالرفق تأخذ بيد زوجتك إلى الله وبالرفق يحبك أولادك وينصاعون إليك وبالرفق يحبك شريكك وبالرفق يحبك جارك، الخير كله بالرفق والشر كله بالعنف السباب بالعنف والضرب من العنف ورفع الصوت من العنف فلذلك من سمات المؤمن أنه هادئ حلیم ورفیق ويصبر ويفكر ويختار الكلمة المناسبة في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ومع الشخص المناسب وبالقدر المناسب.

((مَنْ يُحْرِمَ الرَّفْقَ يُحْرِمَ الْخَيْرَ))

أيها الإخوة الكرام ؛ كل أملي ورجائي أن يترجم هذا الدرس إلى سلوك، ادخل إلى بيتك سلم على أهلك تبسم أسألها عن أحوالها عن صحتها هل هي مرتاحة ؟ هل تشكو من شيء؟ احمل لأولادك قبلهم داعبهم اجعل بيتك جنة بالرفق كسر ابنك شيئاً، مرة طفل مسك شفرة في طقم مفروشات جديد حرك الشفرة على القماش فتح القماش وجدها لعبة لطيفة فخلال ساعة جعل هذا الطقم الغالي كله ممزق جاء الأب غضب وجاء بمسطرة وبدأ يضربه بحد المسطرة إلى أن اسودت يده فاضطر إلى أن يقطع يدي ابنه قال له الابن يا بابا لا تقطعوا لي يدي سحب مسدس وأطلق على نفسه الرصاص وقتل نفسه، أرأيت إلى الغضب هذه قصة وقعت بالشام غضب من ابنه عاقبه عقاباً غير معقول يا ترى أيهما أغلى ابنك أم هذا الطقم ؟ وازن فلذلك .

((إِنَّ الرَّفْقَ لَأَيْسَرُ لِمَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَئِن يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

فأرجو أن يكون هذا الدرس مترجماً إلى سلوك في بيتك في محلك في عملك في الطريق كن هادئاً يعني قال تعالى:

﴿قَالَ سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة النمل: الآية ٢٧]

لكن في حالة اسمها برود تلك لا تحتل، إنسان دخل إلى جسر بعرض السيارة وداخل إنسان آخر على الجسر لا يرجع لا هذا ولا هذا هو فرنسي وإنكليزي، فالفرنسي أحب أن يغيظ الإنكليزي فتح قاموس لاروس أوقف السيارة وفتح القاموس قال له الثاني عندما تنتهي عيرني هذا القاموس.

هذا برود لا يحتل، يقولون دم بارد لا أقصد هذا، أقصد أن تكون رقيقاً هادئاً حليماً الأمر تعالجه بالمودة بالنصح بالموعظة أن تصبر أن تسجل خطأ أن تتابع أن تعاتب لا أن تكون عنيفاً صخاباً يعلو صوتك بالسباب وبالكسر وبالضرب وبما شاكل ذلك ليس هذا من أخلاق المؤمن بل إن الذي يعلو صياحه في البيت فيسمعه من في الطريق تخدش عدالته تجرح عدالته ولا تقبل شهادته.

والحمد لله رب العالمين